

الجيش المصرى فى الأدب والفن

صورة الجيش فى ذاكرة المصريين

(ماذا تبقى من رموز الجيش المصرى فى ذاكرة
المصريين؟)

د. خالد أبو الليل

أستاذ الأدب الشعبى المساعد

كلية الآداب، جامعة القاهرة

obeikandi.com

مقدمة

ما إن كانت الأسرة في القرية المصرية تسمع أن ابنها حُرِمَ من دخول الجيش، بسبب أنه «طَلِعَ شُرْكَ»، إلا وتصاب بحالة من الصدمة، المصحوبة بالعار والخجل من الإعلان عن حقيقة هذا السبب. فافتضح أمر هذا الشاب بأنه «شُرْكَ» يعني شكا في مقومات رجولته، بكل ما تحمله كلمة «الرجولة» من نسق قيمي، وهو ما يهدد مستقبل هذا الشاب، إذ سيظل هذا العار يلاحقه دهرا طويلا، مهما توارى منه. للدرجة التي يتغلب فيها هذا العار على الفرحة بسبب إعفائه من أداء هذه الخدمة. وتنبغي الإشارة إلى أن كلمة «شُرْكَ»- في القرية المصرية- تطلق على الشيء الفاسد، كالفاكهة أو الخضروات الفاسدة، والمفسدة لكل ما حولها. فلا أزال أذكر عندما كان أبي يزرع الطماطم في الحقل ويأتي المشتري ليشتريها منه؛ فكان هناك عامل متخصص، تتمثل وظيفته فقط في أن يفصل الطماطم الصالحة عن تلك الفاسدة «الشُرْكَ»، وكان يستخدم مفردة «شرك» بهذا المعنى، الذي تصير فيه الطماطم «الشرك» غير قابلة للاستخدام طهيا أو أكلا بسبب فسادها، وتكون النتيجة إلقاؤها بعيدا دون ثمن؛ كي لا تضار الطماطم الصالحة منها. وبالمعنى نفسه استخدم القرويون الكلمة نفسها للدلالة على من لم يحالفه الحظ في دخول الجيش؛ لعيب ما فيه.

ولقد ارتبط الجيش في الذاكرة الشعبية المصرية بالتضحية فداء هذا الوطن وأبنائه، حتى صار رمزا لها، ورمزا للشرف والكرامة؛ للدرجة التي يهون على الأسرة التضحية بأبنائها في سبيل كرامة هذا الوطن، من خلال إلحاق أبنائهم بالتجنيد، مهما بلغ حبهم وخوفهم على أبنائهم. ولا شك أن من أفضل الأشياء التي تتجلى فيها هذه التضحية، وهذا الاعتزاز

بالتضحية، ما تحمله حوائط المصريين من صور لشهداء ضحوا بأرواحهم فداء تراب هذا الوطن في أي من معاركنا الطويلة مع الأعداء، حرب ١٩٤٨، أو العدوان الثلاثي، أو هزيمة ١٩٦٧، أو أكتوبر ١٩٧٣. ولا تملك الأجيال الجديدة سوى الوقوف احتراماً أمام هذه الصور التي بقيت ذكرى على بطولات يحتفظ بها الوجدان المصري على حوائطه؛ إذ لا يكاد يخلو بيت مصري من هذه الذكريات، التي يحكونها بمفخرة، ومباهاة أحياناً.

لقد ارتبط الجيش في المخيلة الشعبية - كذلك - بدور تربوي مهم، وذلك بأنه مكان لإصلاح الشباب وتهذيبهم، خاصة هؤلاء الذين أجهدوا أسرهم وأتعبوهم للدرجة التي فقدت معها الأسرة الأمل في انعزال حال ابنها، فيتمنون اليوم الذي يأتي فيه موعد تجنيده؛ حتى يصلح الجيش ما أفسده الدهر في ابنهم، وعجزوا عن إصلاحه. وقد تصل الأمور - أحياناً - إلى إبلاغ بعض الأسر عن أبنائها ممن حان موعد تجنيدهم. فالجيش بالنسبة لهؤلاء يقوم بالدور التربوي الذي عجزت الأسرة عن القيام به؛ ذلك لأن الجيش ارتبط في المخيلة الشعبية بالنظام والدقة والصرامة.

سأسعى خلال هذه الورقة إلى النيش في ذاكرة المصريين (كبار السن) للتعرف على ما تحتزنه ذاكرتهم من حكايات وبطولات لبعض رموز الجيش المصري، ممن خلدتهم أعمالهم وبطولاتهم، فأبقتهم أحياء في ذاكرة الوطن بالرغم من رحيلهم الجسدي فداء للأهداف الوطنية النبيلة التي ضحوا من أجلها. وذلك من خلال إقامة لقاءات وحوارات مع عدد من عاصروا أو عايشوا هذه الحقبة التاريخية التي تبدو بعيدة بعض الشيء زمنياً. وستحاول الورقة أن تكون هذه اللقاءات ممثلة لعينة من المناطق الجغرافية في مصر.

ومما ينبغي الإشارة إليه أنه لا ينبغي إخضاع بعض هذه المروييات إلى مقياس الحقيقة والخيال، أو الصدق والكذب، أو وضع هذه الرؤى الشعبية وفق معيار كتابات مؤرخي النخبة، أعني التاريخ الرسمي؛ لأن هذا ليس هدفنا، وإنما يتمثل أحد أهدافنا في أنه رغم البعد الزمني بين

تلك الفترة التاريخية التي نسعى إلى كتابة رؤية موازية لها من وجهة نظر المهتمين، فإن ذاكرة المصريين لا تزال تحتفظ بتفاصيل كثيرة مهمة تغافلها التاريخ الرسمي، تاريخ النخب والأفراد والقيادات.

(١)

على مدار تاريخنا الوطني الممتد نجد شخصيات تنتمي إلى الجيش المصري، ونظرا إلى ما أبلته من بلاء حسن في خدمة هذا الوطن، وبالرغم من مرور زمن طويل على وفاتهم أو استشهادهم، فإن ذاكرة المصريين لم تُسقطهم، بل لا تزال تذكرهم، وتروي حكاياتهم، وتفاصيل بعض ما قدموه. وسنختار في هذه الورقة بعضا من هذه الشخصيات الوطنية التي أثرت حياتنا بما لعبته من أدوار مهمة داخل الجيش المصري. وهو الأمر الذي ربما يفسر لماذا دائما يردد المصريون «الجيش والشعب حاجة واحدة»، وليس كما يقول البعض «إيد واحدة». فالتعبير الأول أكثر بلاغة ودلالة على تلك الحالة التي تدل على أن الجيش هو جزء من لا يتجزأ من أبناء هذا الوطن ونسيجه. أما التعبير الثاني «إيد واحدة» فيدل على أننا أمام شيئين وليس شيئا واحدا.

عزيز باشا المصري

«يا عزيز يا عزيز كبة تاخذ الانجليز»

تصادفنا شخصية مصرية وطنية، اسمها عزيز باشا المصري، قامت بدور وطني مهم، وهو محاولة مساعدة الجيش المصري بشراء أسلحة حديثة متطورة لتكون بديلا عن الأسلحة الفاسدة. «كان فيه فريق اسمه عزيز باشا المصري. ده كان راجل وطني وكان بيبيع المحصول بتاع أرضه؛ عشان يشتري بيه سلاح للجيش اللي في فلسطين بدل من السلاح الفاسد. ومن هنا اتشكلت خلايا الضباط الأحرار بقيادة جمال عبد الناصر»^(١٢٧).

١٢٧ - من حوار مع البطل الشعبي: محمد مهران، بورسعيد، تسجيل: نجلاء علي.

وتعد شخصية عزيز باشا المصري من الشخصيات المحيرة في تاريخ مصر، فرغم أنه لم يكن ملكا أو رئيسا فإن الوجدان الشعبي لا يزال يحتفظ بشخصيته، بل تغنى ببطولاته ومواقفه الوطنية ضد الإنجليز. وذلك عندما قال: «يا عزيز يا عزيز.. كُبه تاخذ الإنجليز». وهو ما يستدعي منا التوقف عندها بعض الوقت. فعلى الصعيد الرسمي قرر مجلس الوزراء برئاسة محمد محمود باشا عام ١٩٣٨ «إنشاء وظيفة مفتش عام الجيش المصري في ميزانية وزارة الحربية. وصدر مرسوم بتعيين عزيز المصري مفتشا عاما للجيش. كما زاد اهتمام الوزارة بالجيش، فاعتمدت المبالغ اللازمة لتدعيم مختلف وحداته وإنشاء إدارات جديدة والتوسع في إقامة المستشفيات العسكرية»^(١٢٨). ومن الواضح أنه كان من الشخصيات الوطنية والقومية التي سببت قلقا للقصر؛ لمواقفه الوطنية، منذ وقت مبكر، فحاولوا ترضيته من خلال إنشاء هذه الوظيفة الخاصة به، ولكن سرعان ما تم عزله منها بحجة كثرة إجازاته؛ إذ لم تؤثر هذه الوظيفة على مواقفه الجريئة، ولم تتمكن من إسكاته. ففي يوليو ١٩٤٠، قرر مجلس الوزراء «إحالة الفريق عزيز المصري باشا رئيس أركان حرب الجيش إلى المعاش لكثرة حصوله على إجازات، وتم تعيين اللواء إبراهيم عطا الله باشا - ياور الملك الخاص - في هذه الوظيفة»^(١٢٩). ويبدو أن هذا هو السبب الذي تم إعلانه على الرأي العام، وفيما يبدو أن الحقيقة تتبدى في مواقفه العدائية المعلنة ضد الإنجليز، مما ترتب عليه ضغط إنجليزي لإقالته، خاصة بعد ما أحدثه من تحديث في الجيش المصري، ومن مواقفه التي ربطته بصغار ضباط الجيش، وهو ما يؤكد جمال حماد. «حينما تولى علي ماهر باشا رئاسة الوزارة للمرة الثانية في ١٨ أغسطس عام ١٩٣٩ قام بتعيين الفريق عزيز المصري رئيسا لأركان الجيش. طبعا قعدوا (الإنجليز) ضغطوا على علي ماهر ضغطا شديدا جدا لغاية ما أعطاه إجازة طويلة.

١٢٨ - كامل مرسي: أسرار مجلس الوزراء، مطابع المكتب المصري الحديث، ١٩٨٥، ص ٢٨٢.

١٢٩ - المرجع السابق، ص ٢٩٩.

أبعده في سنة ١٩٤٠ لم يبق إلا مدة قليلة رئيسا للأركان. كان يمر بنفسه على الوحدات وعلى القوات من شمال مصر إلى جنوبها. مر علينا وقال لنا البعثة البريطانية دي، دي مش بعثة عسكرية دي بعثة تجارية جاية بتبيع لنا الأسلحة بضعف ثمنها. في ظل الاحتلال كان ماشي عمال يعني يسب ويلعن في الإنجليز. لذلك البريطانيون كانوا يرفضون بقاءه في الجيش»^(١٣٠).

يتبدى لنا جزء من هذه المؤامرة التي حيكت حول عزيز المصري بالتعاون بين القصر والإنجليز، من خلال البلاغ الذي تم تقديمه إلى مجلس الوزراء بجلسته المنعقدة مساء يوم ١٧ مايو سنة ١٩٤١، ضد كل من: عزيز باشا المصري وحسين ذو الفقار صبري وعبد المنعم عبدالرؤوف : «في الساعة الأولى من صباح يوم الجمعة ١٦ مايو سنة ١٩٤١ قام من مطار الماطة اثنان من ضباط سلاح الطيران الملكي المصري ومعهما ثالث بإحدى طائرات السلاح المذكور. وقد اضطرت بفضل وسائل الرقابة الجوية إلى الهبوط فاصطدمت بسلك التيار الكهربائي الممتد بين قهاوقليوب فسقطت في حديقة. وعلى أثر هذا السقوط حاول الركاب الثلاثة الفرار، وقد ثبت أنهم عادوا إلى القاهرة واختفوا، والبحث جارٍ للقبض عليهم. وقد تبين من الحقائق والأوراق والصور المضبوطة، ومن أدلة عديدة أخرى شخصية الركاب الثلاثة، وأن ثالثهم هو عزيز المصري باشا. كما تبين من القرائن والأدلة أن الفعل الذي ارتكبه يقع في باب الجنايات المضرة بأمن الدولة وسلامتها. وقد تولى التحقيق سعادة النائب العام بالاشتراك مع الشخصيات المختصة المدنية والعسكرية»^(١٣١). وفي الرابعة بعد منتصف ليل ذلك اليوم» دق عزيز باب ضابط البوليس المصري الذي عرفه فأدى له التحية العسكرية.. فلم يكن يعرف بأمر الهروب، ووضع سيارة نقطة الشرطة تحت تصرفه أقلته إلي ميدان الأوبرا، كان ذلك في عهد وزارة حسين سري باشا. وبعدها أذيع الخبر ولم يتوصل البوليس لمكان عزيز

١٣٠ - جمال حماد: برنامج، شاهد على العصر، (قناة الجزيرة)، تاريخ الحلقة : ١٠/١١/٢٠٠٨.

١٣١ - كامل مرسي: مرجع سابق، ص ٣٧٤.

المصري، إلي أن أسفرت تحريات البوليس عن أن محمد حسين (والد أحمد حسين زعيم حزب مصر الفتاة) الهارب والمطلوب اعتقاله، يتردد كثيراً علي منزل معين في إمبابة، فداهم الضابط (إبراهيم إمام) مسؤول البوليس السياسي شقة (عبدالقادر رزق) المدرس بالفنون الجميلة، وإذا بالبوليس وجهاً لوجه مع عزيز المصري باشا، الذي أودع السجن في ٤ يونيو ١٩٤١ إلي أن أفرجت عنه حكومة النحاس باشا العام التالي، وأعيد اعتقاله في ١٣ أغسطس ١٩٤٢ واتهامه بالاتصال بالألمان، حسب رواية أنور السادات، ليفرج عنه في ٢٠ نوفمبر ١٩٤٤»^(١٣٢).

فالإخلاصة: أن الفريق عزيز المصري (١٨٨٠-١٥ يونيو ١٩٦٥) عسكري وسياسي مصري، ورائد من رواد الحركة القومية العربية وحركات التحرر الوطنية المصرية. وُلِدَ باسم «عبد العزيز علي المصري» لعائلة شركسية. خاض العديد من المعارك ضابطاً ضمن القوات العثمانية في ألبانيا وليبيا واليمن، وأبلى فيها بلاءً حسناً. كما شارك في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش، بالتعاون مع كمال الدين أتاتورك. عمل على إيقاف الحرب في اليمن عام ١٩١٠. حارب ببسالة وبطولة في ليبيا ضد الغزو الإيطالي. عاد إلى الأستانة عام ١٩١٣، وأسس جمعية العهد وهي جمعية عسكرية سياسية سرية عربية في ٢٨ أكتوبر ١٩١٣، اعتقل في ٩ فبراير ١٩١٤، وحكم عليه بالإعدام، وأطلق سراحه في ٢١ أبريل ١٩١٤ ونُفي إلى مصر. عينه الملك فاروق رئيس أركان الجيش المصري للمشاركة في محاولة تحديثه بعد معاهدة ١٩٣٦. فـ«عزيز المصري ده رجل ضابط من الضباط المتحمسين والوطنيين وكان تعلم العسكرية في تركيا ودخل كلية الأركان، أركان حرب في تركيا وتعلم على درجة عالية من التعليم العسكري ولما حصلت الحرب الطرابلسية، إيطاليا لما جاءت تغزو ليبيا فهو جاء من تركيا إلى طرابلس علشان يقاتل ضد الإيطاليين هو وعبد الرحمن عزام وصالح حرب، فالثلاثة هؤلاء كانوا مسميينهم الثلاثي المعادي لإنجلترا.

ومن الغريب بقى أن رئيس الأركان عزيز المصري وزير الدفاع وقتها كان سمى نفسه وزير الدفاع صالح حرب قائد الجيش المرابط عبد الرحمن عزام، فكان بيقول لك الثلاثي المعادي»^(١٣٣). وقد اعتبره عبد الناصر والعديد من الضباط الأحرار أباهم الروحي. وفي عام ١٩٤٨ قام عزيز المصري بدور مهم في تنظيم كتائب المتطوعين في حرب فلسطين، كما ساهم في إعادة تسليح الجيش المصري العائد من فلسطين بدلا من الأسلحة الفاسدة. وقام بدور مهم في تنظيم الكتائب عام ١٩٥١. كما اقترح خطة (توحيد الجبهة) لردّ العدوان الثلاثي الغاشم عن منطقة قناة السويس عام ١٩٥٦^(١٣٤).

فبحسب ما يشير أحد المبحوثين، فإنه - بعد الثورة - هو من اقترح مسألة ضرورة تحويل خلايا الضباط الأحرار إلى مجلس قيادة الثورة، كما أنه هو من اقترح موعد قيام الثورة. «وعلى طول بصفته قائد خلايا الضباط الأحرار حول خلايا الضباط الأحرار لمجلس قيادة ثورة. وبصفته قائد للثورة قدر قيام الثورة ليلة ٢٣ يولييه ٥٢ وبلغ زميلهالظباط الأحرار بالقرار بتاعهوقامت الثورة وهو قاعد معاهم. بعد طبعما ما احتلوا كل المباني الهامة قال لهم: احنا كلنا ضباط صغيرين، كانوا بيكباشي يعني رائد ومقدم وكده. وكلنا أعمارنا متقاربة. فأنا هاختر واحد أجيبه يبقى راجل كبير في وسطنا عشان نحس إن فيه راجل كبير في وسطنا هاختر واحد من تلاته. الفريق عزيز باشا المصري؛ لأن الراجل ده كان دايمما يقول لى: لا بديل للثورة يا جمال، وكان بيبيع محصول الأرض بتاعه، ويشترى سلاح بدل السلاح الفاسد في فلسطين والتاني معلهش أنا آسف موش فاكر اسمه والتالت اللواء محمد نجيب؛ لأنني كسبت بيه أول مواجهة غير مباشرة ضد الملك. وقع اختياره على محمد نجيب وبعث دبابة تجيب

١٣٣ - جمال حماد: برنامج، شاهد على العصر، (قناة الجزيرة)، تاريخ الحلقة : ١٠ / ١١ / ٢٠٠٨.

١٣٤ - لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع الى:

<http://ar.wikipedia.org/wiki>

<http://today.almazryaloyoum.com/article2.aspx?ArticleID=117356>

محمد نجيب من بيته. وفعلا جه محمد نجيب في الدبابة ودخلوه على جمال عبد الناصر. محمد نجيب فكر إنه مقبوض عليه لأنه حس بالثورة والثورة. ولما دخلوه على جمال قال له: إيه يا جمال أنا ما عملتش حاجة يا جمال؟ فيه إيه إنتو قابضين عليه ليه يا جمال؟ قالوا: لأ أنت موش مقبوض عليك، مين قال انك مقبوض عليك؟! اتفضل اقعد أنا جايبك لسبب تاني خالص؛ لأن انا كسبت بيك أول مواجهة غير مباشرة ضد الملك. وبعدين انت رجل بنثق فيه وزى ما انت شايف كلنا رتبنا متقاربة، وأعمارنا متقاربة وجبنالك انت رجل كبير في وسطنا عشان نحس إن فيه رجل كبير في وسطنا دي علاقة جمال عبد الناصر بمحمد نجيب»^(١٣٥).

(٢)

حرب الاستنزاف:

بدأت حرب الاستنزاف عقب تلقي الجيش المصري الهزيمة النكراء في ٥ يونيو ١٩٦٧؛ حيث سعى عبدالناصر إلى إعادة ترتيب الجيش المصري، وإعادة الثقة في هذا الجيش وإليه، وإعادة ثقة الشعب المصري في جيشه. ف«حروب الاستنزاف كان أهم حاجه عبدالناصر كان يرجع الثقة للجيش المصري وللشعب المصري. وعلشان يرجع الثقة للجيش المصري وللشعب المصري لابد إنه يبتدي يعمل عمليات عسكريه خطيره وكبيره في عمق العدو، تحسس العدو إن إحنا قادرين على الصمود وعلى المواجهه، وعلى تطوير أسلحتنا وإمكانياتنا لاسترداد أرضنا وكرامتنا. وكان لابد من ذلك إنه يحصل وكان ليه تأثير كبير. زي ما كان ليه تأثير على العدو، كان ليه تأثير على الجيش، وتأثير على الشعب. كان تأثيره على الجيش إن هذا الشعب تعود له ثقته ولا ينهار، وكان تأثيره على الشعب أن يلتف الشعب حول قيادته كما كان، وكانت ديه أولى خطوات تحرير الأرض»^(١٣٦).

١٣٥ - من حوار مع البطل الشعبي: محمد مهران، بورسعيد، تسجيل: نجلاء علي.

١٣٦ - المبحوث: صفوت ماهر عبدالغنى، أسيوط، تسجيل: أسامة رضوان.

وقد اصطلح على «أن مفهوم حرب الاستنزاف هو أحد صور الصراع العسكري التي تدار لتحقيق توازن في مجال ما، وهي تدار سياسيا وعسكريا لتغطية الفترة بين السلام الساخن والحرب الشاملة بهدف الوصول إلى سلم أفضل أو وضع استراتيجي أكثر ملاءمة لخوض الحرب»^(١٣٧). فقد وظف عبدالناصر التفاف الشعب المصري حوله، ورفضه للتنحي في أن يرد كرامة المصريين، من خلال دحر الإسرائيليين. وكانت حرب الاستنزاف هي السلاح الذي وجد فيه عبدالناصر ضالته؛ لأنه كان السلاح الأكثر مناسبة لظروف تلك الفترة، والأكثر ملاءمة لمواجهة جيش منتصر منظم مثل الجيش الإسرائيلي وقتئذ، في مقابل بقايا جيش منكسر مهزوم، هو الجيش المصري. «بعد ما أيدنا جمال عبد الناصر رجع تاني رتب الجيش، وكان عبد الحكيم عامر مات بقي، وقال: إن احنا مش هنعرفهم إن احنا اتضربنا وقعدنا بقي لازم نعمل غارات عليهم. وكانوا همهم عملوا ساتر ترابي، وعملوا تمام كده بحيث ما حدش يعرف يعدي لهم. بس جنودنا كانت بتعدي القناه. وكانت بتضربهم وكانت بتروح تعمل أعمال فدائية. وكان فيه منهم اللي بيرجع، ومنهم اللي ما بيرجعش»^(١٣٨). «بدأت بعد الحرب ديه... بعد ما إسرائيل احتلت سينا كلها فبدأت حرب الاستنزاف... وبنوا حائط اسمه حائط الصواريخ، وحصل حرب الاستنزاف ديه خسائر كتير لليهود. اللي كان بيقوم بيها كان العسكريين»^(١٣٩).

وقد تطلب تنفيذ حرب الاستنزاف أن تسير وفق مبادئ وخطة حرب محددة. وتمثلت مبادئ حرب الاستنزاف فيما يلي:

— «أن تسير هذه الحرب وفق مخطط عام يشمل التصعيد والتهدة.

— حسن استغلال نقاط القوة لدينا، والتركيز على نقاط الضعف عند العدو.

١٣٧ - حامد حسب: السويس، تجربة ميدانية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٠، ص ٥٩.

١٣٨ - المبحوثة: الحاجة أم هيثم، قنا، تسجيل: إيهاب حسين.

١٣٩ - المبحوثة: محمد عبد الحميد محمد، ٦ أكتوبر/ مساكن محطة الكهرباء، تسجيل: دينا نبيل.

— تناسب مكاسب حرب الاستنزاف مع تكاليفها.

— أن يصاحب هذه الحرب خطة إعلامية مدروسة.

— الاعتماد على قاعدة داخلية صلبة»^(١٤٠).

كما تمثلت خطة هذه الحرب في الآتي:

١. «منع العدو من التحركات شرق القناة.

٢. حرمانه من القيام بالإنشاءات الهندسية.

٣. إحداث أكبر خسائر في معداته وأفراده.

٤. الحصول على أكبر عدد ممكن من الأسرى والأسلحة والوثائق»^(١٤١).

كانت هذه المرحلة التي تعيشها مصر فترة حرجة، الأمر الذي تطلب سياسة جديدة على كافة المستويات، أسماها عبدالناصر بـ«سياسة حد السيف»^(١٤٢). ولقد تمثلت أولى خطوات ترتيب الجيش المصري، وإعادة بنائه، في تغيير القيادات العامة به، والاعتماد على وجوه قيادية جديدة أكثر وطنية. فلقد قام عبدالناصر في الحادي عشر من يونيو عام ١٩٦٧ بإصدار قرار بتعيين الفريق محمد فوزي وزيرا للحربية، والفريق عبدالمنعم رياض رئيسا للأركان. هذا بالإضافة إلى إجراء تعديلات في المناصب العسكرية المختلفة شملت قادة الأفرع الرئيسية ورؤساء الهيئات والإدارات وأجهزة القيادة العامة والتشكيلات والوحدات المقاتلة. وقد أدى هذا التغيير الاضطراري، وحسن اختيار القيادات الجديدة، إلى سرعة تماسك القوات المسلحة المصرية.^(١٤٣) وعين مكانهم ناس زي الفريق أحمد بدوي،

١٤٠ - حامد حسب: السويس، تجربة ميدانية، مرجع سابق، ص ٦٠.

١٤١ - حامد حسب: المرجع السابق، ص ٦٠.

١٤٢ - محمد حسنين هيكل، برنامج مع هيكل، عنوان الحلقة هيكل... طريق أكتوبر وحرب الاستنزاف، قناة الجزيرة، تاريخ الحلقة: ٢٠١٠/١/٢١.

١٤٣ - المبحوث: عبدالواحد محمد حسنين، القاهرة، تسجيل: شيماء مجدي.

وعين قاده جامدين، وعين حسنى مبارك ف الطيران. وبدأت على طول الحرب. وكانت بتتعاجب بنفسها وبغرور، ولكن القيادة البحرية قدروا يدمروها، وعرفوا يعملوا إيالات وكان فيه معارك راس العرش، وكان فيه معركة شدوان وغيرها من مواجهات كتيره خلت إسرائيل والجماهير تستنجد، وتقول: انقذونا من جمال عبد الناصر. دا خسرنا في الاستنزاف أكثر ما خسرنا ف الحرب»^(١٤٤).

ولقد اعتمدت هذه القيادات على حرب العصابات، من خلال الاعتماد على قوات الصاعقة المصرية، باعتبارها الفرقة الأكثر استعدادا وجاهزية آنذاك؛ إذ لم تتأثر كثيرا بالهزيمة. كما تم الاعتماد على الفرق المكونة من المتطوعين، ممن أطلقوا على أنفسهم «الفدائيين» في مواجهة الإسرائيليين بدلا من المواجهة المباشرة معهم، خاصة لمواجهة الاستفزازات الإسرائيلية داخل الحدود المصرية. «كانوا يقولوا إن الفدائي المصري لما كان يمسك الإنجليزي كان يموت في يديه»^(١٤٥). فقد قامت حرب الاستنزاف على التحالف القوي بين الشعب المصري وجيشه؛ إذ «ابتكرها الشعب المصرى والحيش المصرى على شط القناة. أيوه.. وبدءوا يومياً يقوموا بغارات وبعمليات فدائية شارك فيها الفدائيين.. عرب كتار ومصريين، وكانوا بيخشوا لعمق إسرائيل، ويقوموا بضرب الأهداف الإسرائيلية داخل إسرائيل، وبخطف جنود إسرائيليين، ومن على خط بارليف. وحرب الإستنزاف أثرت على إسرائيل إبه جداً. يعني كان ليها تأثير قوى، كان ليها تأثير قوى جداً على إسرائيل. وخلصهم دايمًا في حالة رعب «يعني حرب الإستنزاف كانت استعداد للجيش المصري. كانت بداية استعداد للجيش المصرى لاستكمال.. لاستكمال معداته وقدرته على الحرب»^(١٤٦).

١٤٤ - المبحوثة: لم يذكر اسمه، الجيزة، تسجيل: أسماء محمد رشاد.

١٤٥ - المبحوثة: فتحية السيد عبد الحليم، ٦ أكتوبر/ قرية طنناش، تسجيل: دينا نبيل.

١٤٦ - المبحوثة: إبراهيم مصطفى سيد مصطفى، أسيوط، تسجيل: أسامة رضوان.

معركة رأس العش:

تعد «رأس العش» من أشهر المدن المصرية التي قادت المقاومة الشعبية في منطقة القناة. وكان للبداية من هذه المدينة أهمية كبيرة في إيقاف محاولات العدو الصهيوني في التوغل بعد احتلاله سيناء للسيطرة على مدينة بورفؤاد. فموقع «رأس العش» يتميز بوجوده «شرق القناة على طريق (مدق) ملتو يطلق عليه العسكريون اسم (رقبة الوزه)، وينحصر هذا الموقع بين قناة السويس غربا، وملاحات بورفؤاد التي تقع في شبه جزيرة سيناء، رغم تبعيتها الإدارية لمحافظة بورسعيد، ولذلك استهدفها العدو الصهيوني بقوة بعد أحداث ٥ يونيو ١٩٦٧؛ ليتمكنه - بعد احتلال سيناء - أن يضع مدينة بورفؤاد تحت سيطرته؛ حتى يتمكن من السيطرة على كل البر الشرقي للقناة، استعدادا للمساومة على فتح قناة السويس، شريطة أن يحصل على نصف إيراداتها... ولذلك تم تكليف الرائد سيد الشراوي قائد الكتيبة ٤٣ صاعقة الموجودة في محطة رأس العش بالتعامل مع العدو، وكان معه النقيب أحمد شوقي الحفني رئيسا لعمليات الكتيبة، والملازم أول سيد إسماعيل إمبابي قائدا للسرية»^(١٤٧). ويسرد لنا الحاج توفيق مهدي - أحد المشاركين في تلك المعارك الفدائية - جزءا من تاريخ هذه المدينة النضالي، ودورها في المقاومة الشعبية، كما يسرد ذكرياته عن معركة «رأس العش» الشهيرة التي ارتبطت بها. تلك المعركة التي وقعت أحداثها يوم ١ يوليو عام ١٩٦٧. وتعتبر هذه المعركة هي الشرارة الأولى للحرب، عندما حاولت المدرعات الإسرائيلية احتلال مدينة بور فؤاد، فصدتها عن المدينة قوة من الصاعقة المصرية. «في حرب الاستنزاف كنا إحنا ودونا حته اسمها راس العش. كنا إحنا قاعدين هناك. بينا وبين إسرائيل ما فيش بحر ولا حاجه. كانت مسافه كده بتاعة كيلو وأقل من

١٤٧ - محمد الشافعي: رأس العش، مغامرات الكانجارو المصري، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠١٢، ص ١٢، ١٣.

كيلو. كانت (راس العرش) قرب السويس.. ما همه كانوا محتليين بالمنطقه دي كلها. يعني مره بالليل سمعت واد منهم بيقول: يا بيومي قاله أيه.. ما همه كانوا بيتكلموا زينا كده. قليل اللي كان منهم بيتكلم عبري. فشتمه وقال له: إنت فين؟ قال له: أنا فوق السجره. ما فيش دقيقه لقيت بعدد كل ورقه من السجره طلقه وضحك. دا من ضمن حرب الاستنزاف. دا إحنا كنا قله. يادوبك سريه، وكتيبه واحده ٨٠ مظلات. كنا معديين هناك. كنا نعدي ويطعمونا ونرجع.. يعني كنا نعدي من ناحية السويس كده ونروح الحته دي»^(١٤٨).

إن نجاح القوات المصرية، ذات القدرات المحدودة في ذلك الوقت وبسالتها، ضد قوات معادية متفوقة يساندها سلاح الجو الإسرائيلي، أثار مشاعر المقاتلين على طول خط الجبهة حمية وحماسا واستعدادا للمواجهة المنتظرة.»^(١٤٨) طبعاً بعد النكسه كانت القيادة العسكريه أي واحد يقدر يروح وهمه جم مباشرة إلى جمصه. طبعاً ما كناش مجرد عمليات جزئيه في أي مكان من الأرض، بحيث إن مصر تخسر إسرائيل قدر المستطاع من البشر والمعدات، ونجحوا في هذا. كانوا بيعملوا إيه؟ إنه كان فيه مثلاً راس العرش كمثال مثلاً منطقة الجنود المصريين يتخطوا بحيث ويدخلوا المعسكرات الإسرائيلييه، ويقتلوا الجنود الإسرائيليين، اللي فيها ويخسروا المعدات، اللي فيها وييجي. ولو جم على مصر كانت منطقة القنال كلها مهجوره. وبعدين الضرب بتاع إسرائيل فيها لا يقدم ولا يؤخر. فإذن يكفيننا إنهم خلوا إسرائيل لما كل يوم يموت واحد من الإسرائيليين مش هاقول أكثر ولو أكثر يبقى خير وبركه. وبعدين معدات بتتدمر، وبعدين يكفي إن همه يحسوا بعدم الاستقرار في الأرض، اللي همه واخدينها»^(١٤٩). واستمرت هذه المعركة طيلة ثمانية أيام من البطولة والإصرار والعزيمة الوطنية، تأكد خلالها العدو من صعوبة تحقيق أهدافه الاستراتيجية،

١٤٨ - توفيق مهدي سليمان أبو زيد، قرية طناش/ ٦ أكتوبر، دينا نبيل.

١٤٩ - المبحوث: سيد عناني، المنيا، تسجيل: نعيمة عثمان.

باحتيال بورفؤاد أو منطقة رأس العش، كما تكبد خلالها - أيضا - خسائر فادحة، أدت به إلى تفضيل الانسحاب وصرف النظر عن احتلال هذه المنطقة عن المضي قدما والاستمرار في مواجهة القوات المصرية. وكان من أهم الأسماء والأبطال التي لمعت في تلك المعركة الرقيب حسني السيد سلامة، والملازم عبدالوهاب الزهيري. لقد حال نجاح القوات المصرية في هذه المعركة دون وصول إسرائيل إلى أهدافها من هذه المعركة، كما أدى هذا النجاح - في الوقت نفسه - إلى سرعة تعافي الجيش المصري، وبقيّة الفرق العسكرية معنويا، مما لحق به بسبب الهزيمة، إلى الحد الذي تحولت - معه - منطقة رأس العش لتصبح «بوابة الأمل» التي دخلت منها القوات المصرية، بل ومصر كلها، آفاق الإرادة الرحيمة لمواجهة العدو واسترداد الأرض والكرامة»^(١٥٠). بل لقد كان لهذا الانتصار أثره النفسي والمعنوي المهم، ليس فقط على الجنود المنتصرين، أو الجيش المصري، بل على أبناء منطقة القناة، خاصة أبناء بورسعيد، الذين كانوا يتابعون تفاصيل هذه المعركة أولا بأول. وقد أعاد الانتصار إليهم الثقة في أنفسهم وفي جيشهم، وفي قدرته على الدفاع عن أرضهم وعرضهم. فقد «انتقل خبر هذا النصر إلى شعب بورسعيد منذ الفجر بعد أن بات ساهرا مترقبا النتيجة على أصوات الاشتباكات. وفي الصباح خرجت المدينة عن بكرة أبيها تستقبل أخبار المعركة بفرحة تدمع العيون. وكان موكبا شعبيا أعاد ثقة الشعب في مقاتليه، حتى إن السيدات قمن بغسل الدبابات التي اشتركت في المعركة بالمياه زيادة في التكريم. وقدم الشعب وجبة الإفطار إلى إخوانه جنود وضباط الصاعقة... انسحب الجيش الإسرائيلي من مشارف بورفؤاد، ولم يفكر ثانية في العودة إلى مثل هذه المعركة؛ لأنه واجه جدية وفدائية ومقاومة من الجيش والشعب»^(١٥١).

١٥٠ - محمد الشافعي: رأس العش، مغامرات الكانجارو المصري، مرجع سابق، ص ١٣. ولزيد من تفاصيل هذه المعركة وخطتها وأبطالها، يمكن الرجوع إلى المرجع السابق.

١٥١ - محمد عبدالفتاح أبو الفضل: كنت نائبا لرئيس المخابرات، دار الحرية، سلسلة شهرية، العدد ١١، ١٩٨٦، ص ٣٠٦.

شهداء حرب الاستنزاف من رجال الجيش:

ولقد راح عدد من الأبطال المصريين شهداء لتلك الحرب، منهم على نحو ما يذكر المبحوثون الفريق عبدالمنعم رياض.

الفريق عبد المنعم رياض:

يعد الفريق رياض أكثر الأبطال الذين توقف المبحوثون - ممن حاورناهم - عنده، معددين صفاته ومهاراته القتالية والوطنية. فلقد حظي بثناء كبير من معظم المبحوثين. «زي الفريق عبد المنعم رياض، الفريق عبد المنعم رياض ده في حرب الاستنزاف استشهد؛ لأنه كان جوه أرض المعركة، وعلى الجبهة وما سابش الجنود»^(١٥٢). ويشير الحاج سيد دسوقي إلى أهم ما اتسم به الفريق عبدالمنعم رياض، والذي جعله مرتبطاً بالوجدان الشعبي المصري حتى الآن؛ حيث ارتباطه بالجنود الصغار في ميدان المعركة، ووطنيته الكبيرة وإخلاصه وتفانيه في الزود عن مصر؛ للدرجة التي جعلت عبدالناصر ينعيه، ويرى أن فقدته خسارة كبيرة، بل بفقده فقد الذراع الأيمن له. «حصل ضحايا كثير قوي. ففيه أبطال كثير بس هو البطل اللامع كان عبد المنعم رياض؛ لأنه ادى درس للعسكريهالعالميه. إن القائد ما ينفصلش عن جنوده. وهو مات في منطقته اسمها نمره ٦ في الإسماعيليه. لو انت رحت هناك كده هتلاقياالضفه كده، ويادوبك المواقع اللي كانت إسرائيليه علي بعد بالكثير ٢٠٠ متر بس. فكون راجل جنرال كبير زي كده يبقي بين جنوده في ذلك الوقت ده ادي درس للعسكريين حتي اللي جم بعد منه انهم ما ينفصلوش عن جنودهم، ويبقوا قاعدين في مكاتب مكيفه. حتي انا سمعت عبد الناصر لما عبد النعم رياض مات قال: انا فقدت دراعي الأيمن. والعالم كله كان بيسميه الجنرال الذهبي.

١٥٢ - المبحوث: الحاج رمضان وهبة محمد، المنصورة، تسجيل: بسمة مصطفى.

ما كانش عسكري بس، دا كان عسكري ومثقف وعنده رؤيه استراتيجيه. مات علي ضفة القناه يوم ٩ مارس ١٩٦٩. ومن ساعتها سمي بيوم الشهيد^(١٥٣). «استشهد الفريق عبد المنعم رياض فيها. آه انا بقول لك: عبد المنعم رياض مات علي الجبهه، وهو في عمليه فدائيه. وكان علي الجبهه وإسرائيل عرفت لأنهم كانوا بيكشفوا بعض؛ لأن كان بينا وبينهم قناة السويس. بس هيه عرضها مش كبير. يعني وعرفوا إن فيه فريق بس ما يعرفوش مين هو، وضربوا علينا ساعتها مدفعيه. وهو كان مع الجنود هناك ومات يا حبيبي وكان راجل جميل الله يرحمه»^(١٥٤). ويشير الحاج عبدالفتاح إلى تفاصيل استشهاد الفريق رياض، بأنه مات في المعديه رقم «٦» على القناة. كما يشير إلى أن وفاة الفريق رياض ألهب حماس الفدائيين والمقاتلين المصريين؛ رغبة في الانتقام له. «أهم الأسماء في حرب الاستنزاف هو عبد المنعم رياض. كان قائد عسكري فذ واستشهد في المعديه رقم ٦ سنة ١٩٦٨ علي القنال^(١٥٥)، لكن حرب الاستنزاف قامت بها المقاومه الشعبيه. يعني الناس اللي زينا، و الناس ثارت و عملت عمليات فدائيه، وبقية الجيش وكلهم مش راضيين على هذا الوضع. وكان طبعا أهمهم عبد المنعم رياض، الله يرحمه وأموات المسلمين»^(١٥٦). فعندما أراد الفريق رياض أن يقوم بزيارة ميدانية للنقطة نمرة ٦ شرق الإسماعيلية؛ لما سمعه عن تحصينها، عندئذ «بادره قائد الجيش بأن موقع هذه النقطة قد يشكل خطورة نظرا لارتفاع مواقع العدو وسيطرته على الضفة الغربية للقناة. وهنا غضب الفريق رياض وقال: انا جندي كأى مقاتل على هذه الجبهة. وبما أننا نطالب المقاتلين العيش في هذه النقطة المتقدمة فلا بد أن نكون معهم ولا ننفصل عنهم. وفعلا توجه الركب، وتمت الزيارة،

١٥٢ - المبحوث: سيد دسوقي، قنا، تسجيل: إيهاب حسين.

١٥٤ - المبحوث: الحاجة أم هيثم، قنا، تسجيل: إيهاب حسين.

١٥٥ - الفريق عبد المنعم رياض توفي في ٩ مارس عام ١٩٦٩، وليس ١٩٦٨ كما ذكر المبحوث.

١٥٦ - المبحوث: الحاج عبدالفتاح: الشرفية، تسجيل: مروة عبدالفتاح.

وبدأت عودة الفريق رياض في اتجاه العربات الواقفة خلف ساتر. وفي هذه اللحظة انطلقت دانات من مدفعية العدو، سقطت واحدة منها بالقرب من مجموعة القيادة وأصابتهم جميعاً؛ حيث استشهد الفريق رياض أثناء إخلائه، بينما كانت إصابة قائد الجيش ومدير المدفعية أقل قليلاً وتم شفاؤهم والحمد لله^(١٥٧). فليس من شك في أنه يعد من «الخسائر الجسيمة المبكرة التي تحملتها مصر في الأيام الأولى لحرب الاستنزاف ما حدث في يوم ٩ مارس ١٩٦٩ حينما استشهد في الخطوط الأمامية الفريق عبدالمنعم رياض، أثناء قيامه بجولة تفقدية لمعرفة سير خطة الاستنزاف الموجهة للدفاعات الإسرائيلية في منطقة الإسماعيلية عند الموقع رقم ٦ بقطاع الجيش الثاني الميداني. ولا شك أيضاً في أن فقد رئيس أركان حرب القوات المسلحة كان خسارة كبرى لمصر»^(١٥٨).

ويشير الحاج صبري إلى شهداء آخرين لحرب الاستنزاف - إلى جانب الفريق عبدالمنعم رياض - ^(١٥٩). ويذكر الحاج حسن عبدالباسط أسماء بعض الذين رأهم رأي العين، وهم ينالون الشهادة من أبناء القوات المسلحة، مثل النقيب «حسين محمد حسين الديب»، والرائد «شافعي أحمد الشربيني». كان معانا قائد من الإسكندرية كان نقيب.. كان اسمه حسين محمد حسين الديب.. دا كان برضة معانا وقام بعمليات كويسه.. وتاني كان رائد كان شافعي أحمد الشربيني. ودا برضه عمل عمليات كويسه. كان بيقود ناس. يعنه مثلاً ياخذ مجموعه.. الطقم بتاعه إذا كان مثلاً ١٥ أو ١٠ أو ٢٠ ويقوموا بالليل في ساعات محدده، ويقوموا يعملوا عمليات ويرجعوا. طبعاً ما همه مخططين لها. يعنى يخطط لعملية

١٥٧- هيئة البحوث العسكرية بوزارة الدفاع، صفحات مضيئة من تاريخ مصر العسكري، مرجع سابق، ص ١٠٤.

١٥٨- طه المجذوب: هزيمة يونيو، أسرار وحقائق من النكسة حتى الاستنزاف، دار الهلال، القاهرة، مرجع سابق، ص ١٧٢.

١٥٩- المبحوث: الحاج صبري، الشرقية، تسجيل: مروة عبدالفتاح.

وتنجح. يروح يعمل عملته ويرجع. وكانت كل حاجه بتبقى كويسه»^(١٦٠). وتشير مبحوثة أخرى إلى فقد إحدى القرى المصرية لأربعة من شبابها في النكسة، من بينهم أخوها. كما تشير - أيضا - إلى حزن المواطن العادي على ما طال البلاد من هزيمة قاسية، راح ضحيتها شباب مصريون كثيرون، وهو ما تسبب في أن يخيم الحزن على مثل هذه القرى. «من ضمنهم أخويا وأربعة من البلد هنا.. حمدي حسن عيسى، وعبد الفتاح السيد عبد الحليم، وعبد الله عبد العظيم شلبي، والسيد فوزي شلبي راحو شهدا ف النكسه دي. والنبي دا كان فيه واحد عامل كسكسي راح دالقه ف الشارع، جار الجامع. نقول له: ليه بتدلق الكسكسي؟ يقول: بقى عيالنا راحت وهناكل؟! وجالنا النكسه، وهناكل كمان؟!»^(١٦١).

(٥)

حرب الاستنزاف: شهداء آخرون في ذاكرة المصريين:

ومن شهداء المقاومة الشعبية بالسويس الذين حققوا بطولات كبيرة لصالح هذا الوطن في معركته ضد العدو الإسرائيلي، وأبقت عليهم ذاكرة المصريين، بالرغم من أن كتب التاريخ الرسمي قد أسقطتهم من الحسابان، نجد الشهيد مصطفى أبوهاشم، الذي يعد أول شهيد من المقاومة الشعبية في ١٩ فبراير عام ١٩٧٠. يقول عبدالمنعم قناوي - أحد فدائيي السويس الذي شاهد استشهاداه - «كنا في أرض ملعب نادي السويس للتدريب حيث كنا نتخذة ميدانا ومخزنا لمهماتنا وأسلحتنا. وحدثت غارة جوية على مواقع المدفعية التي تقع خلف النادي. توقعنا أن الطائرات قد اكتشفت موقعنا؛ حيث كانت مهمات التدريب في أرض النادي، واتفقنا على ضرورة إنهاء التدريب والتفرقة بسرعة ومغادرة المكان. وفعلا تم الإخلاء بسرعة ولم يتخلف منا سوى مصطفى أبوهاشم، الذي كان في أحد المخازن المقامة

١٦٠ - المبحوث: حسن عبد الباسط أحمد رضوان، قرية طناش/ ٦ أكتوبر، تسجيل: دينا نبيل.

١٦١ - المبحوث: فتحية السيد عبد الحليم، ٦ أكتوبر/ قرية طناش، تسجيل: دينا نبيل.

تحت المدرج، وكانت به كميات من زجاجات المولوتوف التي انفجرت بمجرد إصابتها واشتعلت بها النيران التي أمسكت بملابسه، فحاول إطفاء نفسه بالجري والتمرغ في رمال ملعب كرة السلة، ولكن الهواء كان شديدا وانتشرت النيران في كل ملابسه. وعندما لاحظنا انبعاث الدخان من أرض النادي عدنا سريعا، ولكن القضاء كان أسرع منا^(١٦٢). وكذلك الشهيد سعد البشتلي الذي استشهد في ٣١ مارس عام ١٩٧٠، برصاص قناص إسرائيلي. يقول أحمد العطيبي - أحد أفراد المجموعة التي كانت تضم الشهيد البشتلي - إن الشهيد سعيد محمد محمود البشتلي قد استشهد أثناء إحدى عمليات الاستطلاع على الشاطئ الشرقي للقناة في منطقة لسان بورتوفيق؛ حيث لم تكن النقطة الحصينة قد أنشئت بعد. وكان البشتلي ضمن مجموعة الشهيد سلطان التي يقع مركز قيادتها في عمارة السنوسي المواجهة للقناة. عبرت المجموعة المكونة من ٦ فدائيين أحمد العطيبي، إبراهيم سليمان، محمود عواد، قناوي، سعيد. وعند صلاة الفجر بدأنا نصلي في مجموعتين، وبدأت المجموعة الثانية الصلاة يؤمها سعيد البشتلي، وكان سعيد طويل القامة، فأطلق عليه قناص إسرائيلي الرصاصة فأصابه في رأسه. وقد شددت القيادة على ضرورة إنهاء العملية، وإحضار جثمان الشهيد البشتلي. وبالفعل فقد تم لهم ذلك^(١٦٣).

ويذكر أحد المبحوثين شهيدا آخر اسمه اللواء هشام، هذا إلى جانب ما رآهم يموتون أمامه، ولكن ذاكرته لا تستطيع ذكر أسمائهم. «اللواء هشام وكان.. بس كان قبل التحرير كان توفى، ومات. وبعدين فيه شخصيات برضه كبيره جداً^(١٦٤). ويرى الحاج سيد دسوقي أنه ينبغي أن نضم - إلى جانب الشهداء الذين نالوا الشهادة في ميادين القتال، مثل عبدالمنعم رياض - كل أبناء الشعب المصري من المدنيين الذين ماتوا بسبب ما

١٦٢ - حامد حسب: السويس، تجربة ميدانية، مرجع سابق، ص ٤٦.

١٦٣ - حامد حسب: السويس، تجربة ميدانية، مرجع سابق، ص ٤٦.

١٦٤ - المبحوث: أحمد محمد عبد الكريم، أسوان، تسجيل: أسامة رضوان.

شنته إسرائيل من غارات على بعض المنشآت المدنية. ويأتي على رأس هذه المذابح المدنية، مذبحه بحر البقر، التي راح ضحاياها أطفال صغار، ومصنع أبي زعبل، وما فقدته من عمال. ففي صباح يوم ١٢ فبراير عام ١٩٧٠ «أغارت الطائرات الإسرائيلية من طراز فانتيوم على مصنع الشركة الأهلية للمنتجات المعدنية في أبوزعبل شرق القاهرة، وقصفته بالصواريخ. وأسفرت الغارة عن مصرع ٧٠ عاملاً»^(١٦٥). وفي يوم ٨ أبريل أغارت الطائرات الإسرائيلية من طراز فانتيوم مرة أخرى على مدرسة بحر البقر الابتدائية بمنطقة الصالحية في شرق الدلتا. وأسفرت هذه الغارة الوحشية عن مصرع ٣١ طفلاً وإصابة ٢٦ آخرين من أطفال المدرسة»^(١٦٦). لذلك كان لهذا الحادث وقع عميق سيئ على الرأي العام على المستوى العالمي»^(١٦٧). وهو ما ولد رأياً عاماً داخلياً وعالمياً مواجهاً لإسرائيل ومشحوناً ضد تصرفاتها. «فيه ناس كتير ماتوا في حرب الاستنزاف، وكان كل يوم فيه شهداء بتسقط. وكان فيه مدنيين بتسقط، والعيال في مدرسه بحر البقر ودمرتها إسرائيل في الشرقيه. همه العيال دول مش أبطال ولا إيه؟ ما هو من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتي

١٦٥ - وقد رثى الشاعر صلاح جاهين شهداء هذه الحادثة في قصيدته «عناوين جرائين المستقبل»، التي يقول في ختامها:

إحنا العمال اللي انقتلوا

فدام المصنع في ابو زعبل

بنغني للدنيا وتتلو

عناوين جرائين المستقبل

راجع القصيدة كاملة في صلاح جاهين: الأعمال الكاملة، الدواوين الشعرية، المجلد الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١١، ص ٤٤٤.

١٦٦ - رثى الشاعر صلاح جاهين شهداء هذه المجزرة في قصيدته المعنونة بـ «الدرس انتهى»، والتي يقول فيها:

إيه رأيك في البقع الحمرا

يا ضمير العالم يا عزيزي

دي لطفلة مصرية وسمرا

كانت من أشطر تلاميذي

راجع القصيدة كاملة في المرجع السابق، ص ٤٤١-٤٤٣.

١٦٧ - طه المجدوب: هزيمة يونيو، أسرار وحقائق من النكسة حتى الاستنزاف، مرجع سابق، ص ٢٠٨.

يعود. وضربت مصنع اسمه أبوزعبل، والعمال بيغيروا الورديتين»^(١٦٨).

ويتفق معه في هذا الرأي الحاج سيد عناني، من حيث كثرة المدنيين الذين لقوا حتفهم بسبب الغارات الإسرائيلية الغاشمة على المناطق المدنية، هذا إلى جانب ما قاموا به من دور وطني في مواجهة العدوان. وبالتالي عندما نتحدث عن الشهداء - من وجهة نظره - علينا ألا ننسى هؤلاء المدنيين، وضمهم إلى زمرة شهداء حرب الاستنزاف. «والله على ما اسمع إن المواطنين المدنيين يمكن - هاقول لحضرتك - أكثر من الجنود العسكريين. وحاولوا الدفاع عن الوطن. ويكفي إنني أقول لحضرتك إنهم كانوا محتلين الزيتيه في السويس. وبعدين بياخدوا البترول اللي فيها. يعني بيعملوا كل ما يثير ذعر المصريين. فشعب السويس وبورسعيد والإسماعيلية كانوا أكثر فدائيين؛ لأنهم قدروا يحسسوا المغتصب ده إن دي مش أرضك، وإن انت هتمشيهمشي، مهما قعدوا. والفترة دي من ٦٧ إلى ٧٣ على مسمى إيه حرب الاستنزاف. إن همه كل يومين أو تلاته أو خمسة يموتوا على قد ما يقدرنا. ومن الإسرائيليين هم عندهم إحساس أولاً إن الأرض مش أرضكم، وانت محتل وغاصب، فدي نجحوا فيها فعلاً»^(١٦٩). فلقد بدأ الشروع في عمليات حرب الاستنزاف بعد أن ارتكب الإسرائيليون عددا من الجرائم البشرية في حق المدنيين المصريين، استخدموا فيها أحدث الأسلحة والمعدات الحربية، مثل سلاح «الفانتوم» الأمريكي. فقد عاشت مصر في حالة حرب مستمرة، تجرعت فيها مرارة الحياة من الخوف وعدم الأمان بسبب ما كانت تشنه إسرائيل من غارات على المنشآت والمنازل المصرية. «كنت وقتها أيام الطفولة، وكنا بنجري من الغاره. والغاره يعني اليهود قاموا ضربوا فينا بالطيران؛ لأن وقتها كان فيه حاجه طيران الفانتوم لسه سلاح حديث، وإحنا ما عندناش منه، فكان بيخترق كل حاجه، وبيدخل. فكانوا بيضربوا ف

١٦٨ - المبحوث: سيد دسوقي، قنا، تسجيل: إيهاب حسين.

١٦٩ - المبحوث: سيد عناني، المنيا، تسجيل: نعيمة عثمان.

المدن، واحنا كنا بنخاف. فيقول لك: اطفى النور، واجري استخبي ف المساجد أو المخابيء. واحنا المفروض يبقى فيه مخابيء في مصر، ودي اتلغت. وما حدش عارف اتلغت ليه مخبأ مثلا تحت الأرض، تتعمل جنينه، وف الجنينه يتعمل على عمق ٢٠ متر تحت الأرض مخبأ، وفوق جنينه. حصل أي حاجه يببى قى المخبأ ليه.. مدخل ومخرج الناس كلها تخش تستخبي تحت الأرض. فدلوقتى ما فيش ويقول لك: إحنا مش في حالة حرب، بس إحنا هنفضل في حالة حرب لحد يوم الدين»^(١٧٠).

ويتوقف آخر عند أسماء بعض الذين شاركوا في بعض عمليات حرب الاستنزاف، مثل قادة معركة رأس العش، كاللواء بدر الدين الحريشي. «الحمد لله ننتصر فيها والقائد في الوقت ده ساعة ما كنا في راس العش..»^(١٧١). تلك المعركة التي كان يتابع أحداثها أولا بأول الرئيس عبدالناصر، للدرجة التي اتخذ فيها - في أحد أيام احتدام المعركة ليلا - قرارا في الساعة الثانية صباحا، بترقية كل الأبطال الموجودين شرق القناة إلى الدرجة الأعلى، مع منحهم نوط الشجاعة، وتم إبلاغ الأبطال بقرار عبدالناصر، فتزايدت حماساتهم، كما تمت إذاعة هذا الخبر بالإذاعة المصرية في الساعة من صباح اليوم التالي. ومن شهداء هذه المعركة بالضفة الغربية كل من: العريف محمد علي أبو خريص، والجندي محمد إبراهيم أبو زيد، والجندي السيد عبدالحميد محمد، والملازم محمد الجزار. كما كان من شهدائها بالضفة الغربية كل من: الجنود عاشور إبراهيم محمد، ومحمد عبدالحميد سويد، والسيد فهمي محمد، وسعيد علي أحمد، وصلاح الدين محمود أحمد، ومحمد محمد حسن النطيح. في حين كان من جرحى هذه المعركة بالضفة الشرقية كل من: الملازم فتحي علي عبد الله، والعريف محمد أمين ميدان، والجنديان علي محمد حمامة، وعلي محمد المحلاوي. ومن جرحى هذه المعركة بالضفة

١٧٠ - المبحوث: عبدالواحد محمد حسنين، القاهرة، تسجيل: شيماء مجدي.

١٧١ - المبحوث: الحاج حسنى توفيق والحاج محمد شوشة، ٦ أكتوبر/ طناش، تسجيل: دينا نبيل.

الغربية كل من الجنود: سعيد مجاهد أحمد، وأحمد السيد الباز، سمير طايح سلطان، والنحاس محمود محمد، ومحمد عثمان إبراهيم، ومحمد عبدالسلام واصل^(١٧٢).

ويشير آخرون إلى إبراهيم حجازي، وما سمعه عن بطولاته ودوره في معركة شدوان وكبريت. «مش فاكركوي. وقتها كنت ف الجيش، وما كنتش باسمع كتير. بس أسمع عن إبراهيم حجازي. وكان وقتها ظابط استعلامات. وكان بيحكي عن بطولات المصريين وحوادث شدوان و كبريت، واللي بيحصل ف الإسماعيليه، و إزاي كانوا بيحفروا الخنادق، وعن الرجاله الجدعان اللي كان نفسهم يحرروا البلد. دول كانوا بياكلوا الحشيش من كتر الجوع. أنا لما كنت في وحدة الجيش بتاعتي ف الإسماعيليه. كانت اشتباكات، وقصص حرب عاديه. مش قصص و بطولات بالمعنى المعروف، وكانت ف الأول تحرشات ومناورات أكثر منها حرب»^(١٧٣). أما صفوت البططي فإنه يشير إلى إصابته في هذه الحرب، وأنه تلقى علاجه في مستشفى المعادي، بعد أن كلف عبدالناصر مدير مكتبه بمتابعة حالته الصحية. «أنا اتصبت في حرب الاستنزاف، وقعدت آخذ شهر لغاية ما زهقت من الروح والجاي. رحبت بعث شكوى لجمال عبد الناصر. بعث لي محمد بيه مدير مكتبه، وداني على مستشفى المعادي على طول. عملوا لي أحسن عمليه في الوقت ده»^(١٧٤).

١٧٢ - نقلًا بتصرف عن محمد الشافعي: رأس العرش، مغامرات الكنجارو المصري، مرجع سابق، ص ٤٩، ص ٥٠، ص ٧٧ - ٨٢.

١٧٣ - المبحوث: شعبان محمود، المنيا، تسجيل: نعيمة عثمان.

١٧٤ - صفوت البططي، قنا، جمال عطا، محمد صالح البحر.

(٦)

حرب أكتوبر:

بالطبع ، كان انتصار السادس من أكتوبر له حظوة كبيرة بين من حاورناهم ، فكثيرون من توقفوا عندها ، وعند ذكر تفاصيل هذه الحرب ، التي أعادت إلى الشعب المصري ، على نحو ما أعادت إلى الجيش ، ثقته في نفسه ، واعتزازه بقدراته وإمكانياته ، بل أعادت العلاقة بينهما إلى طبيعتها ، بعد أن تأثرت - بعض الشيء - جرأ هزيمة ١٩٦٧ . وسنختار من بين من حاورناهم واحدا من أبناء قبيلة الرماحي بمحافظة الفيوم ، الذي يوجز هذه الحرب في إحدى القصائد الشعبية البدوية ، والتي يقول واصفا الحرب وملابساتها:

«في سنة ٧٣ ... في اللحظة دي كان الرئيس أنور السادات كان له هيبة جامدة على عملية النصر، وعملت له يعني حب جامد، وكان الرئيس حسني مبارك ربنا يشفيه ويخليه كان موجود كان قائد الطيران. كان له برضه تاريخ مشرف، أول ضربة جوية، الضربة الجوية الأولى شلت الحركة الجوية الإسرائيلية نهائيا. جميع المطارات الإسرائيلية ادمرت. وكان بفكر وتخطيط مصري. فربنا كرم، ولولا أمريكا جات بأسراب الطيران بتاعتها، وجات خطوط مباشرة لإسرائيل كانت مصر كلها خدت إسرائيل، ماكاتشهاخدمعها حاجة. إنما أمريكا هي اللي جابت الأسراب.. آه تدخلت بثقلها بقى.

القصيدة بنقول ايه بقى.. هي لهجة بدوية:

اقرب لي يا باهي الصيفات
تعا خبرنا ع السادات
اللي حشد كل القوات
وقال اللهم يا جيش اعبر

في اليوم السادس م أكتوبر
هجمنا وقلنا الله أكبر
وعدينا في أرض الميدان

عبرنا بحملة طائرات
حديد ما غير يصبوا فواليت
عساكر وسلاح وشبان

عبرنا م الضفة الغربية
ومن شرقه همت سوريه
ودمرنا جيش الطغيان

دمرنا خطك يا بارليفوتمّي مقطع كيف الليف
اللي قالوا عالي البنيان

اللي قالوا خط مانع
اليوم تهّدّم واتصدع
اللي ما حقق.. اليوم سُمع
علي قوة جيش العربان

الخِطة تمت بالترتيب
ما فيها ولا يد غريب
لا سوفيت ولا امريكان

أمريكا سمعت ها الأخبار
عدوك شاطت فيها النار
وقالت سوّك^(١٧٥) يا ديان

وين اسلاحك ها الفانتوم
اللي حرّم سينا يبرم

١٧٥ - سوّك: ماذا حدث لك؟

تَحطم كله ع الجبهات
الخطة راسمها السادات
وجهاز من جيشه ظباط
وقال ارجاني يا ديان

وقال ارجاني^(١٧٦) يا ديان
وجرب قوة ها الشبان
اللي ما نسيوا عار زمان

ما نسينا سبعة وستين
(ما نسيناش ٦٧)
ما نسينا سبعة وستين
وسينا ويافا وفلسطين
وسوريا ومعها الجولان

صَبَّيَّ^(١٧٧) ديان ومائير^(١٧٨)
وقال اللهم نا كيف اندير

١٧٦ - ارجاني: انتظرنني واحذرنني

١٧٧ - صَبَّيَّ: استسلم، أو فقد القدرة على التفكير

١٧٨ - ديان: موشي ديان، مائير: جولدمائير.

جيوشي منهم كيف تُسير
عرب جونا من كل مكان

قال: جالقدافي والهواري^(١٧٩)
والمغرب ماهو مدّاري
وفیصل^(١٨٠) نادى يا اخواني
هيا نمشو للسادات

هيا نتفقوا ف القول
ونرفع من سعر البترول
حتى ير حل ها الشيطان

حتى تجلى دوماير ومعاها ديان أسير
ومعاهم باقي العدوان
النصرة تمت للعربان^(١٨١)

١٧٩ - القدافي: رئيس ليبيا الأسبق معمر القذافي، والهواري: رئيس الجزائر السابق «هواري بو مدين».

١٨٠ - فيصل: الملك فيصل بن عبد العزيز، ملك المملكة العربية السعودية.

١٨١ - أحد أبناء قبيلة الرماحي، محافظة الفيوم، ٢٠١٠، تسجيل: وهويدا حماد، و رغدة محمد.

فالقصييدة تسرد لنا تفاصيل معركة النصر في السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣، بدءاً من الإعداد للحرب، وجرأة السادات، والخطة التي أعدها لتلك الحرب، وكذلك الضربة الجوية الأولى التي قادها الرئيس الأسبق محمد حسني مبارك. وكيف أن هذه المعركة أعادت الفرح إلى الجيش المصري والمصريين؛ إذ أعادت إلى الجميع الثقة المفقودة عقب النكسة. وكذلك وقع تأثير تلك الهزيمة على تحالفات إسرائيل، خاصة أمريكا التي أفقدتها المعركة توازنها وثقتها في قوتهم. كما أشارت القصيدة إلى الموقف العربي الداعم لمصر في حربها ضد إسرائيل، على نحو ما أكده موقف رؤساء الدول العربية وشعوبها، مثل: معمر القذافي وهواري بومدين وملك المغرب، والملك فيصل، الذي استعرض الشاعر الشعبي بعضاً من موقفه القوي عندما أوقف تصدير البترول إلى الغرب وإلى أمريكا مما كان له كبير الأثر في تحقيق النصر، ليس لمصر فحسب، وإنما لكل العرب.